

العدد السابع | سبتمبر / ٢٠٢٦

ثهلاء



[HTTPS://THAHLANMAG.COM](https://thahlanmag.com)

صفحة المحتويات

٣

فقه عمر بن الخطاب في اختيار الرجال لكل مرحلة

بقلم: د. أحمد الرسي

٥

خط المسند الجنوبي: بين أصالة المنشأ وهندسة الحرف

بقلم: مؤيد عسيري

١٠

قصة الجميلات التي غيرت وجه الخليج

بقلم: شهد آل ردعان

١٥

بلجريف كما يقدمه الدكتور: صالح السنيدي

بقلم: فريق رحال

٢٣

عبقريّة الشرق في مرآة الغرب

بقلم: فهد القحطاني

٢٧

ضريح ذي القرنين في ذاكرة دومة الجندل:

قراءة بين النص التراثي والرمز المكاني

بقلم: جلال الطالب



كلمة التحرير

في هذا العدد من «تهلان»، نفتح أبواباً متعددة على التاريخ؛ لا نستعرض الماضي كما هو، بل لنقترب من لحظاته التي ما زالت قادرة على إثارة السؤال والدهشة.

نبدأ من فقه القيادة، حيث تكشف اختيارات عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن الرجل المناسب لا يقياس ببطولته وحدها، بل بقدرته على فهم طبيعة المرحلة. ثم تنتقل إلى حكاية الجميلات، من الأفلاج إلى الخليج، في مسار تختلط فيه الهجرة بالقوة والذاكرة وبدايات النفوذ.

وفي «رحال» نرافق بلجريف، شخصية لا تمنح قارئها إجابات سهلة، بين الطموح والسياسة والتنكر والرحلة. ثم نعود أبعد في الزمن، إلى مخترعات وأسرار تقنية سبقت عصرها واختفى بعضها قبل أن يغير العالم.

ونقرأ الشرق بعيون غوستاف لوبون في «حضارة العرب»، قبل أن نقترب من أحد أقدم أشكال الكتابة في جنوب الجزيرة: خط المسند، حيث يتحول الحرف نفسه إلى أثر.

هذا العدد رحلة بين الإنسان والفكرة والمكان؛ وبين ما حفظه التاريخ... وما كاد أن ينساه. وبين هذه الصفحات، لا نقدم أجوبة نهائية، بقدر ما نترك للقارئ متعة الاكتشاف والحكم بنفسه، نلتقاكم في عدد آخر، دمتم بخير...

بقلم: ثامر الحريصي

فقه عمر بن الخطاب في اختيار الرجال لكل مرحلة

بقلم: د. أحمد الرسي

يظهر فقه الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه في فهم الطبيعة الإنسانية من خلال التعيين والعزل بحسب طبيعة المرحلة.

ففي مرحلة الفتوح الأولى كانت الحاجة إلى قادة ميدانيين من أمثال خالد بن الوليد رضي الله عنه؛ قائد تتألق شخصيته في الحركة والمواجهة والحسم، ويميز أفضل ما فيها حين يكون أمام تحد عسكري واضح وجبهة تحتاج إلى سرعة قرار وجراءة عالية.

أما بعد استقرار الفتح وتأسيس المدن، فقد ظهرت حاجة مختلفة: إدارة المجتمع، وتنظيم القضاء، وتعليم الناس، وتثبيت الاستقرار. وكان المتوقع أن يتولى البصرة أحد قادة الفتح، لكن عمر رضي الله عنه اختار أبا موسى الأشعري رضي الله عنه، مع أنه لم يكن من قادة الفتح الأول للعراق؛ إلا أنه كان فقيهاً، وقارئاً، وقاضياً، وإدارياً، ذا شخصية هادئة تناسب مرحلة بناء المجتمع واستقراره.

ولهذا عاشت البصرة في عهد أبي موسى رضي الله عنه واحدة من أجمل مراحلها الراشدية؛ إذ جمعت بين الإدارة والعلم والقضاء والاستقرار رضي الله عنهم ..



طاق كسرى، المدائن، العراق، توثيق من القرن 19 — New York Public
Library / Wikimedia Commons, Public Domain

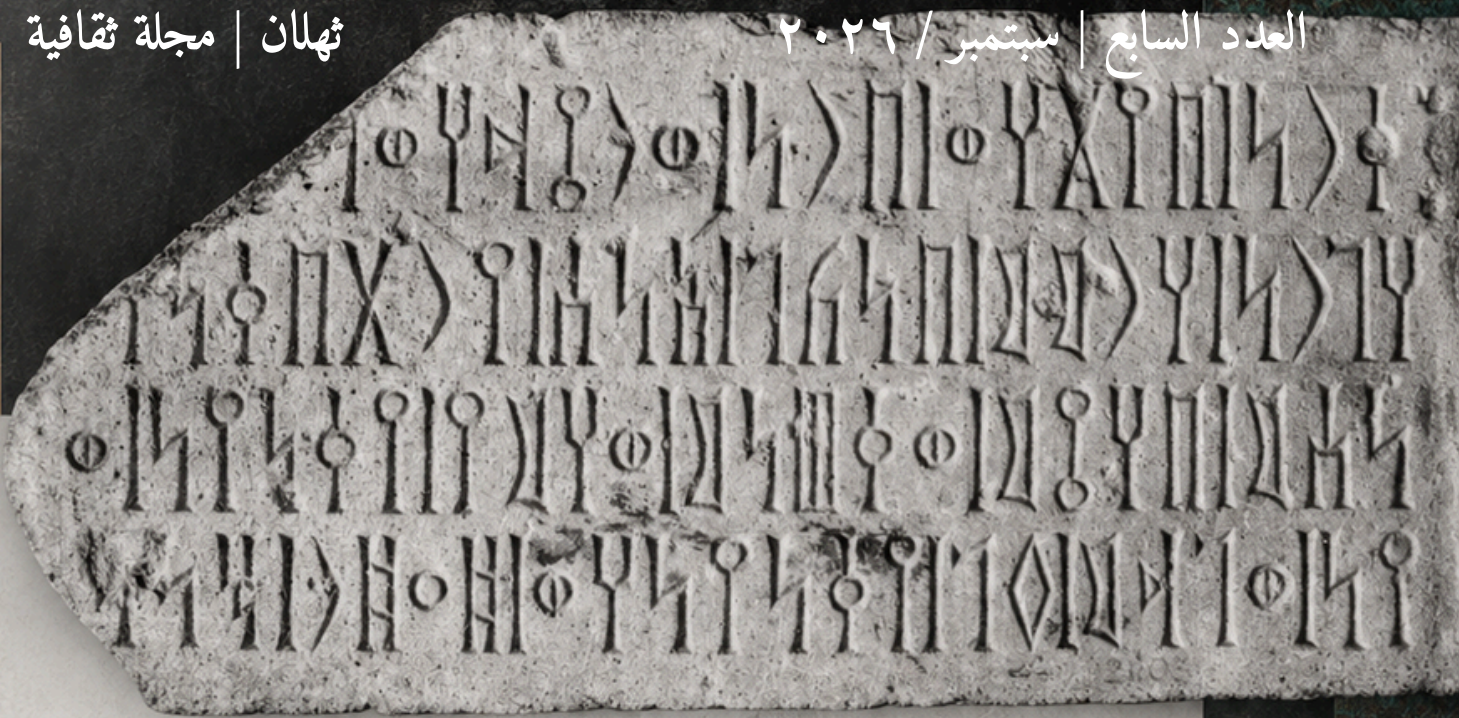
خط المسند الجنوبي: بين أصالة المنشأ وهندسة الحرف

بقلم: مؤيد العسيري

يُستعمل لفظ المُسند -بضم الميم- في اللغة العربية للدلالة على الشيء الذي يعتمد عليه أو يستند إليه، كأن يكون وسادة أو دعامة، كما ورد أيضاً بمعنى العارضة الأفقية ذات الأرجل أو الكرسي.

ويسهم هذا المعنى اللغوي في دعم الرأي التاريخي القائل بأن تسمية خط «المسند» جاءت مستوحاة من هيئة حروفه، إذ تظهر الحروف قائمة ومتتابعة، وكأنها تستند إلى بعضها بعضاً. ويعد هذا الرأي - المدعوم بالمعاجم اللغوية - الأرجح في نظر الباحث.





كما يرى بعض المستشرقين أن العرب الجنوبيين استلهموا شكل حروف المسند من أعمدة مبانيهم، فجاءت الحروف قائمة تشبه عمارة قصورهم ومعابدهم، في تعبير عن رغبة واضحة في إيجاد انسجام بصري بين شكل الحرف والبناء المعماري.

ويرجع أقدم نقش جنوبي مكتوب بخط المسند - وفق المعطيات الأثرية الحالية - إلى أوائل القرن التاسع قبل الميلاد على أبعد تقدير، ويستدل على ذلك بختم عثر عليه في موقع «بيتل» بفلسطين، ومع ذلك، لا يعد هذا التاريخ حاسماً لبداية ظهور الخط، إذ لا يشترط أن يكون زمن النقش مطابقاً لتاريخ الختم المكتشف، فقد يكون الخط أقدم من ذلك، وحتى اليوم، لم يتمكن الباحثون من تحديد الكيفية الدقيقة لنشأة خط المسند، وإنما يكتفون برصد أقدم آثاره المؤكدة.

أما أحدث ما توصل إليه علماء الآثار فيشير إلى وجود نقوش مسندية تعود إلى أواخر القرن السادس الميلادي، وهو ما يدل على استمرار استخدام هذا الخط لفترة طويلة، قبل أن يبدأ في الاندثار مع شيوع اللهجات العربية الشمالية، ثم مع بزوغ الإسلام ونزول القرآن الكريم.



أثر مكتوب

ويرى بعض الباحثين أن الجنوبيين اقتبسوا خط المسند من الفينيقيين، غير أن هذا الرأي محل جدل، إذ يذهب اتجاه آخر إلى أن الفينيقيين أنفسهم يعدون فرعاً من الشعوب الجنوبية، وأن الحضارة اليمنية الجنوبية أقدم زمنياً من الحضارة الفينيقية.

وبناءً على ذلك، يُرجح أن خط المسند نابع من البيئة الحضارية اليمنية الجنوبية الخالصة، ويعد من أقدم نظم الكتابة الأبجدية المعروفة، بل وتذهب بعض الآراء إلى أن الحروف الفينيقية قد تكون مقتبسة من الحروف المعينية اليمنية القديمة.

ويُعد خط المسند الجنوبي أحد اللهجات الكتابية اليمنية القديمة المرتبطة بالحضارة الحميرية، وقد تميز بعدد من الخصائص البارزة، أبرزها اعتماده على النقش على الصخور والمباني والجدران. ويتكون هذا الخط من حروف أبجدية يبلغ عددها (29) حرفاً، وهو العدد نفسه لحروف العربية الحديثة إذا تم إعتبار الهمزة حرفاً منفصلاً.

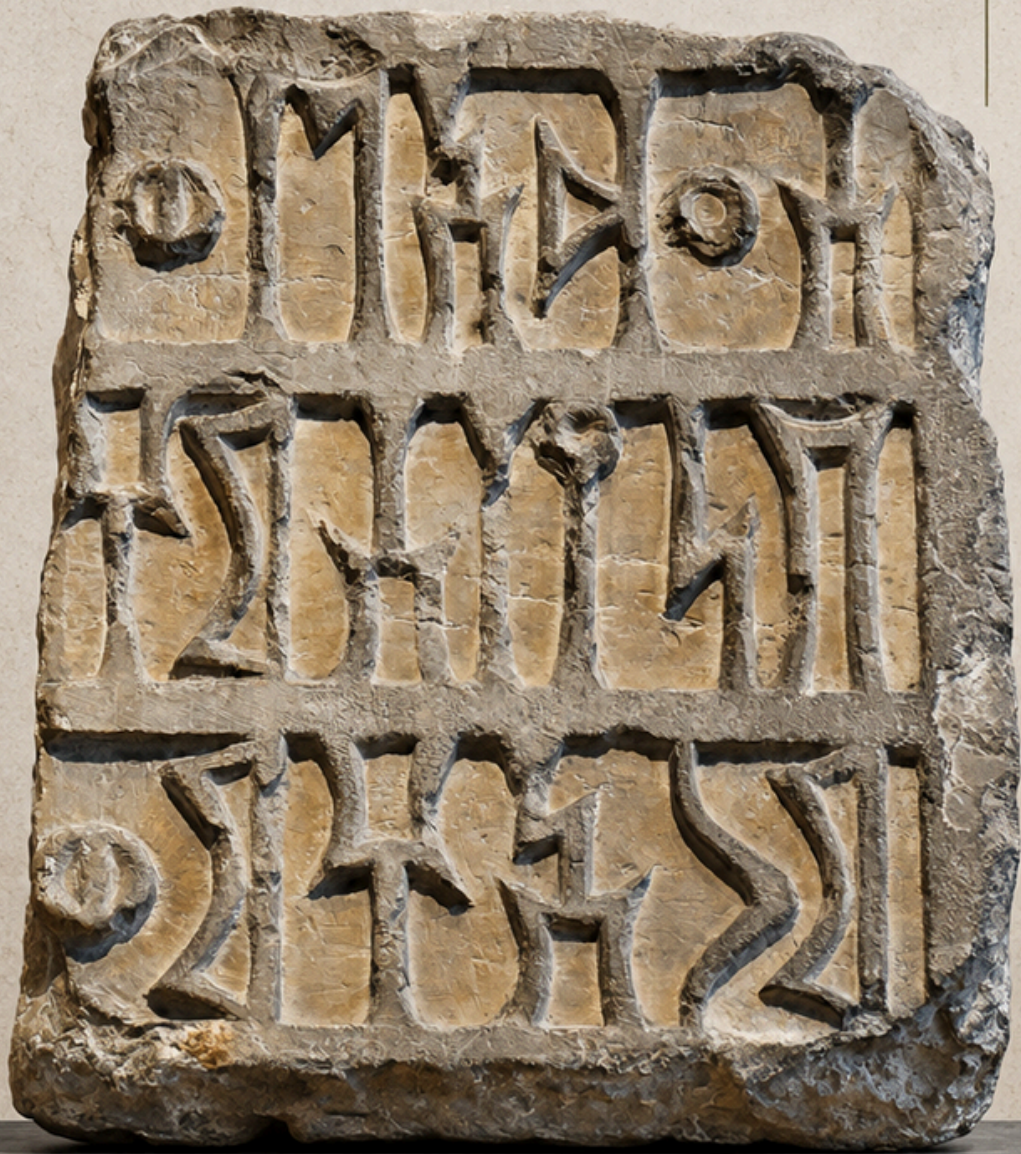


ومن أبرز سماته أن حروفه لا تُدمج أو تُوصل ببعضها كما في العربية، بل تُكتب منفصلة وقائمة بذاتها. وعند الانتقال من كلمة إلى أخرى، يفصل بينهما بخط عمودي يسهل على القارئ تمييز حدود الكلمات. كما يكتب ويقرأ من اليمين إلى اليسار، شأنه في ذلك شأن اللغة العربية.

وتخلو حروف المسند من النقاط وعلامات الترقيم والتشكيل، فتبدو كحروف صامتة، ويعبر عن التنوين بإضافة حرف النون في نهاية الكلمة، بينما يعبر عن التشديد بتكرار الحرف المشدد، ولم يرصد الباحثون طريقة خاصة للتعبير عن الاستفهام في نصوص المسند، وهو أمر شائع في اللغات السامية القديمة عموماً.

كما تتسم نصوص المسند بكتابتها للأفعال بصيغها الأصلية المجردة، بحيث يقوم القارئ باستنتاج الصيغة والدلالة من سياق النص، وهو ما يعكس محدودية تنوع الصيغ الصرفية الظاهرة مقارنة بالعربية اللاحقة.





قطعة حجرية بنقش سبئي إهدائي، جنوب الجزيرة العربية، القرن الأول م — Musée du Louvre؛ تصوير Jastrow، Wikimedia Commons، Public Domain

قصة الجميلات التي غيّرت وجه الخليج

بقلم: د. شهد آل ردعان

تُروى لنا جدران الهدّار فصلاً مذهلاً من تاريخ رجال صاغوا بفروسيّتهم مصائر أمم، وانطلقوا من بوادي الأفلاج ليخطوا أمجاداً امتدت حتى شواطئ الخليج.

تستوطن قبيلة الجميلات العريقة - ومنهم الآن آل صباح حكام الكويت، وآل خليفة حكام البحرين - أرض الأفلاج، حيث سكن فريق منهم في الهدّار وهي أقصى قرى الأفلاج تقع على مسافة تقارب 110 كيلو متر من مدينة ليلى، وكانت موطناً لعدد من القبائل، ومن بينها الجميلات، وقد عرفت الهدّار منذ وقت مبكر بوجود القصور والحصون والقرى الزراعية، ثم تطورت مع الزمن إلى أحياء منظمة تحيط بها النخيل والأشجار، ومن أبرز معالم الهدّار (قصر صباح)، وهو حصن ارتبط اسمه بتاريخ الجميلات.

وإذا كان قصر صباح يمثل حضور الجميلات في الهدّار، فإن قصر سلمى في البديع يمثل جانباً آخر من تاريخهم، ارتبط بالقوة والحماية والصراع على المكان، ففي قلب القرن العاشر الهجري، برز اسم حماد الجميلي، ذلك الأمير الشجاع والمحنك من قبيلة الجميلات، الذي سُمّ دفع الاتاوات الثقيلة لشريف مكة، فبنى قصره الحصين (قصر سلمى) لحماية نفسه وقبيلته من هجمات شريف مكة...

ويقع القصر في قرية البديع الشمالية -وهي من قرى الأفلاج أيضاً- وهو قصر كبير أحاطت به أسوار متكررة لحماية سكانه، والقصر أشبه بحصن ذي بناء قوي، يبلغ عرض سورته نحو أربعة أمتار، وترتفع أبراجه إلى نحو عشرة أمتار، وقد صممت القلعة على شكل سداسي، بحيث يوجد في كل زاوية برج للمراقبة والدفاع، كما كان يحيط بالقصر خندق يبلغ عرضه وعمقه نحو عشرة أمتار، وكان يملأ بالماء في أوقات الخوف والشدة، مما جعل الوصول إلى القصر واقتحامه أمراً بالغ الصعوبة.

وتروي الرواية أن حماد كان يرسل إتاوة سنوية إلى شريف مكة، ثم قرر في إحدى السنوات التوقف عن دفعها، ووصلت الأخبار إلى الشريف، فأرسل جيشاً لمحاربة حماد، فتوجه الجيش إلى قصر سلمى وحاصره، ومكث أمام القصر نحو أربعين يوماً دون أن يتمكن من اقتحامه، وحين عاد قائد الجيش وأخبر الشريف بما حدث..

لكن القصة لم تنته عند هذا الحصار، ففي عام 989هـ/1581م، توجه الشريف مرة أخرى للقضاء على حماد الجميلي، وتمكن من هزيمته وإرغامه على دفع الإتاوة، وبعد ذلك اتجه الشريف إلى الحجاز عبر طريق الهدار، باعتبارها منفذاً عبر جبال طويق.

وصف القصر بقوله إنهم وجدوا
(سلمى أسفلها في الماء وأعلاها في
السماء) في وصف يعكس صعوبة
الوصول إليه وقوة تحصيناته!



من البديع إلى حصن كوت

ولم تكن شجاعة الجميلات وتاريخهم
ليقفوا عند حدود البديع والهدار؛ فقد
دارت الأقدار دورتها لتطلق أوسع هجرة
تاريخية نحو شواطئ الخليج، فعلي إثر
خلافات ونزاعات قبلية، غادرت أفواج
من القبائل من الهدار، من بينهم أجداد
آل صباح وآل خليفة وجماعات من
الجميلات متوجهين نحو الساحل،
استقروا في القرين -الكويت حالياً- بعد
رحلة طويلة عبر قطر والبصرة...

وهناك استأذنوا حاكم الأحساء ابن عريعر فأذن لهم بالسكن في حصن
الكوت - وتجدر الإشارة هنا إلى أن كلمة كويت هي تصغير لكلمة كوت
البابلية، والتي تعني البيت المربع كالقلعة أو الحصن، ويكون مبنياً بقرب
البحر لتقصده السفن للتزود منه بما تحتاجه -ليتأسس حلف العتوب وتنتشر
تسمية الكويت، وهناك نصب صباح بن جابر العتيبي الجميلي أميراً على
الكويت، لتنتقل مسيرة إمارة آل صباح العريقة.

وفي ضفة أخرى، واصل آل خليفة رحلة المجد، فارتحلوا إلى الزبارة في قطر مع أخوالهم من العتوب فصنعوا مجداً تجارياً وبشراً شاهقاً، قبل أن يعبروا إلى البحرين عام 1196هـ/1782م، ويمهدوا لدخولها وتأسيس ملكهم الواسع الذي تكمل في مطلع عام 1197هـ/1783م.

وبعد هجرة الجميلات في القرن الثاني عشر الهجري، ظلت ذكريات الهدار معلقة بقلب الشاعر فيصل الجميلي، وهو رجل شجاع شاعر ذائع صيته في بوادي نجد كلها، كان يسكن قصر أجداده في الهدار (قصر صباح) وعمره بالكرم والخصال الفاضلة، فلم يتجاوز قلبه سنواته التي قضها في الهدار، فقد رحل في آخر حياته إلى الكويت، وغاب النور عن ذلك المكان، فسمي قصر صباح بـ (طفية) لأنطفأ نوره

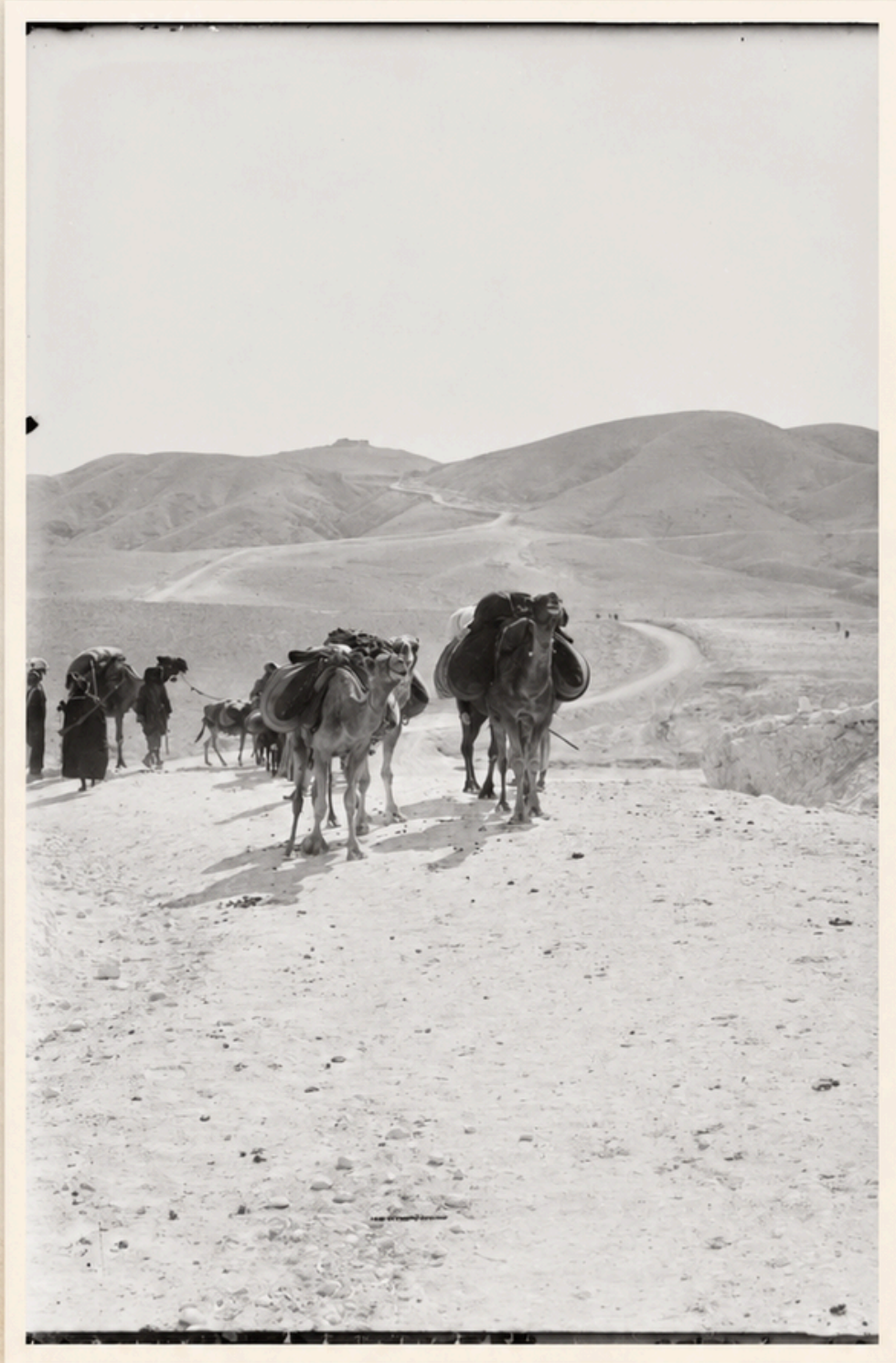
ومن مقره البعيد أرسل قصيدة نبوية مشهورة إلى أقاربه في الهدار يبكي فيها نفسه وحياته، ويذكر أنه عاش في الهدار نحو تسعين عاماً كلها مليئة بالذكريات الجميلة والحياة الرفيعة الكريمة، قال فيها:

قال الجميلي والجميلي فيصل
والراس من تحت العمامة مال
قعدت في سوق العراقيين جالس
لا سائل حي ولا من سال
إلى أن قال:

تري ديرتي يا جاهلين بديرتي
عليها من في العرين ظلال
كم مدة وردت فيها فاطري
لا لجلجوا في طيها المحال
ملكيت بالهدار تسعين عيلم
مسايلها بالريف يوم اتسال

وهكذا تفرقت خطى الجميلات بين البديع والهدار والكويت والبحرين، وظلت تلك القصور الشامخة في الأفلاج، بصمود جدرانها حتى اليوم، شاهداً حياً على أمجاد عريقة انطلقت من بين النخيل والظلال، لتكتب فصلاً فريداً من السيادة والعز الذي امتدت آثاره لتصنع تاريخ الخليج العربي.





قافلة جمال تاريخية — Library of Congress /

.Wikimedia Commons, Public Domain

ويكيبيديا كومنز

بلجريف كما يقدمه الدكتور: صالح السندي

♦ بقلم: فريق رحال

نرحب في لقائنا الثاني من سلسلة لقاءات " رَحَال " بالرحالة الإنجليزي: بلجريف.
فريق رَحَال: أهلاً وسهلاً بك يا بلجريف
بلجريف: أهلاً وسهلاً بكم وسعيد بتواجدي معكم اليوم وآمل أن نخرج بحوار مثري للسادة القراء.

فريق رَحَال: هذا يعتمد على مدى مصداقيتك وشفافيتك معنا، لا نريد شخصية الجاسوس اليوم!
بلجريف: سأكون شفافاً معكم لا تقلقون.

فريق رَحَال: ممتاز. عرفنا على نفسك.
بلجريف: أنا وليم جيفور بلجريف، إنجليزي الأصل، ولدت سنة ١٨٢٦ م، من أب يهودي اشتهر بالعلم والادب.

فريق رَحَال: إذا أنت إنجليزي ومن سلالة يهودية، يا له من تعريف مشوق لمعرفة ما الذي أتى بإنجليزي يهودي إلى الجوف وحائل والقصيم!
 أخبرنا عن مسيرتك العملية.

بلجريف: سأخبرك، التحقت بالجيش البريطاني بعد تخرجي من جامعة أكسفورد، وتعينت في بومباي ولكنني انسحبت من الجيش بعد سنة لأنضم إلى جماعة الآباء اليسوعيين النصرانية.

فريق رَحَال: يتضح لنا من حديثك أن لديك نزعه دينية وتدين عالي لدرجة أنك تخلّيت عن مكانك في الجيش لانضمامك إلى الجماعة النصرانية!

بلجريف: نعم، بل واصلت مشواري إلى أن أصبحت قسيساً في البعثة التبشيرية بلبنان.

أتعلمون؟ لا أنسى تلك الفترة التي كنت فيها قسيساً في البعثة التبشيرية، لقد تجرعت المرارة في تلك الأيام، خصوصاً في لبنان، فقد نجوت من مذبحه الدروز ضد النصاري بأعجوبة!



فريق رحال: يا لها من مسيرة ملحمية. أكمل، هل انتهت مسيرتك العملية بعد مذبح لبنان؟
بلجريف: لا، لقد قدت حملة في أوروبا لإنقاذ نصارى لبنان.

فريق رحال: كيف كنت تتواصل مع نصارى لبنان في لبنان أو حتى في أوروبا؟
 بلجريف: لقد تعلمت العربية قبل مذبح لبنان، وتعلمت غيرها من اللغات الأخرى.
فريق رحال: وما الدافع الذي يجعلك تتعلم لغات أمم لتخاطر بينهم؟
بلجريف: أتحفظ عن الإجابة.

فريق رحال: نراك مريباً يا بلجريف، ولديك خطوات وتقلبات لا تبرير لها، بل حتى الذين كانوا حولك لا يفهمون شخصيتك المتقلبة. ودليل تقلبك سَمِعنا أنك تركت الكنيسة الكاثوليكية وحوّلت عنها، هل هذا صحيح؟

بلجريف: نعم صحيح، تركت الكنيسة الكاثوليكية وحوّلت إلى البروتستانتية

فريق رحال: دعنا عن الجانب الديني الآن، واخبرنا عن جانبك العملي أكثر.
بلجريف: حسناً، انضمت إلى الخارجية البريطانية، ثم تنقلت بين عدة مناصب.
فريق رحال: نجدك بعد المذبح التي وقعت في لبنان انضمت في مناصب الدولة وأصبحت مقرباً إلى السلطات، فهل مذبح لبنان أعادت تشكيل ما بداخل بلجريف؟
بلجريف: نعم، بعد المذبح أصبحت لدي طموحات وأريد تحقيقها أياً كان ثمنها، حتى أنني حملت لواء الدفاع عن قضية النصارى في شتى المحافل، حتى أصبحت مقرباً لدى البابا في روما خاصة وفي أوروبا قاطبة.

فريق رحال: يا للعجب!، وما الخطوة التي كانت بعد اقترابك من البابا؟
بلجريف: لم أكتفِ بقربي من البابا، كانت لدي طموحات أكبر من مجرد الوصول للبابا. الخطوة التالية كانت أنني وجدت مفاتيح تحقيق احلامي وطموحاتي في شخصية نابليون الثالث إمبراطور فرنسا، الذي يعتبر نفسه حامياً لنصارى الشرق، ويحلم في تأسيس محميتين عربيتين إحداهما في مصر والأخرى في سوريا ولبنان، ويحدوه الشوق الى توسيع نفوذ إمبراطوريته فيما وراءهما.

رحال: لم نفهم! ما الرابط بينك وبين الإمبراطور ومحبياته التي في مصر وسوريا ولبنان، وكيف أتيت إلى الجزيرة العربية إذا طالما لم تكن هي من ضمن القائمة؟

بلجريف: أخبركم، أنا استغلّيت فرصة أتت لتحقيق طموحاتي، وتماشى مع فكر الإمبراطور التوسعي، وهي أنني عرضت عليه أن تكون الجزيرة العربية ذات الثقل الديني والمعنوي داخل إطار هذا النفوذ.

رحال: لماذا الجزيرة العربية؟

بلجريف: لقد كان يحدوني أمل كبير في الإسهام بشيء من أجل الصالح الاجتماعي لهذه المناطق كما يحدوني أمل تحريك الحياة الشرقية الراكدة، حتى تلحق بأنهار التقدم الأوربي الجارية وتتصل بها، وكذلك الرغبة في الاستكشافات التي تملأ قلوب الإنجليز.

رحال: دعنا الآن ندخل في تفاصيل رحلتك في الجزيرة العربية، من أي منطقة بدأت الرحلة؟

بلجريف: بدأت في الجوف، وكانت محطة تعرف واستطلاع وجس للنبض، لذا كنت خائفاً من المحيطين بي ولكن بعد أن وصلت وتعرفت على فئات من المجتمع المتعددة فيها، وما يتمتعون به من كرم وسلوك حضاري اطمأن قلبي وزالت مخاوفي، وكنت في الجوف عابر سبيل، فمقصدي من هذه الرحلة كان في حائل وما بعدها.

رحال: ثم أين ذهبت بعد الجوف؟

بلجريف: ذهبت إلى حائل، وعندما وصلت إليها استطعت الوصول إلى حاكمها الأمير طلال، وتوطدت صلته بي، وصارحته بمقاصد رحلتي وخط سيرها في لقاء سري جمعني به، تظاهر الأمير طلال بموافقته وأبدى بعض التحفظات، ووجدت من عمه عبيد الرشيد الوقوف ضد أي مشروع ذو أهداف سياسية غريبة، وأعتبر أن من تبعات ذلك هو الخروج عن الدين، ولذا فقد أخبرني بأني شخصية غير مرغوب فيها في حائل.

فريق رحال: يتراود لدينا سؤال قبل أن تكمل تفاصيل رحلتك. كيف كان استقبال أهالي الجوف وحائل لك وأنت رجل غربي ولباس غربي؟
بلجريف: لقد تنكرت في شخصية طبيب عربي باسم: (سليم أبو محمود العيس)، وكان معي مرافق وانتحل صفة زوج شقيقتي وتظاهر بأنه تاجر جملة تارة، ومساعد في الطب تارة أخرى وتسمى: (بركات الشامي)، وكنا نمازج بين الطب والتجارة حسب الظروف.

رحال: يا لمكر الجواسيس! دعنا نعود إلى رحلتك، أين ذهبت بعد أن طردك عبيد الرشيد من حائل؟

بلجريف: استعديت للذهاب إلى القصيم، وقبل خروجنا من حائل كان أول المودعين لنا الأمير طلال وعمه عبيد بن رشيد، وبعد ذلك وجدت عبيد حرف فرسه نحونا فجأة ومد يده مودعاً وقال لنا: سمعت بأنكم تنويان الذهاب إلى الرياض وهناك ستلتقيان بعبدالله الابن الأكبر لفیصل، إنه صديق شخصي لي وأريد أن تكونوا كبار في عينه، لذلك كتبت له رسالة لأجلكما. ولكن راودتنا بعض الشكوك مما جعلنا نفرض اختانها بحذر ونكشف المستور الذي توقعناه.

فريق رحال: وما كان نص الرسالة؟

بلجريف: نص هذه الرسالة كان: "بسم الله الرحمن الرحيم، من عبيد بن رشيد إلى عبد الله بن فيصل بن سعود، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد: فعلمكم بأن حاملي هذه الرسالة هما المدعو سليم العيس ورفيقه بركات الشامي، والذين يقولون بأن عندهم المعرفة في... وهنا تأتي كلمة مشبوهة ذات معنيين: طب وسحر، ويغلب عليها المعني الأخير، الذي يعد في الرياض جريمة كبرى جزاؤها الإعدام. وأتمنى من الله ألا نسمع بإصابتكم بأي مكروه أو أذى، ونسلم أيضاً علي والدكم فيصل، وإخوانكم وكافة أسرتم، ونتنظر أن يصلنا ردكم بفارغ الصبر، والسلام".

فريق رحال: وهل أوصلتم الرسالة؟
بلجريف: لا، تجاهلناها: لأنها لو اوقعت بيد الأمير عبدالله لفقدنا حياتنا في المصيدة النجدية ولذا احتفظت فيها للذكرى.

فريق رحال: يا لها من ذكرى، ويا لها من رسالة ذكية من شخصية هي أهل للذكاء.

رحال: أخبرنا عن القصيم
بلجريف: وصلنا إلى القصيم مع قافلة كبيرة تضم خليطاً من البشر ودخلت إلى القصيم الأعلى الذي كان تحت سيطرة حكومة ابن رشيد. وأول الحواضر كانت بلدة (فيد)، وصادف بمرورنا من هناك بتنفيذ حكم الجلد على أحد المحكومين هناك، ثم واصلنا مسيرنا في فيافي نجد وقفارها مع هبات نسيمها العليل، ذلك الذي تغنى به الشعراء وقد انعشتني هذه الأجواء ومنحتني شعوراً بالنشوة والابتهاج، وواصلنا طريقنا ومررنا بـ (الكهفة) وكانت تعد أكبر قرى المنطقة.

رحال: أخبرنا أيضاً عن المناطق التي مررت بها في القصيم
بلجريف: مررت بـ (القوارة) كانت بلدة كبيرة وكانت مليئة بالأشجار وغنية بالمياه. ومررت بـ (العيون) وتتميز هذه البلدة بموقعها المتوسط فهي على ملتقى خطوط المواصلات. ومررت أيضاً بـ (الغاف) وكانت منازلها تنتشر بلا نظام وفيها ١٢ بئر ترويههم وتسقى منها مزارعهم.

وايضاً ذهبنا إلى (بريدة) شعرنا بالسعادة والفرح عندما تبين لنا من خلال منخفض طفيف طلائع مدينة بريدة، التي كنا نتحرق شوقاً للوصول إليها، والتي بدت تحصيناتها بيضاوية الشكل، كان منظر المدينة عن بعد قد أخذ شكلاً هندسياً متناسقاً...

فهذا برج مراقبة هائل يصل ارتفاعه إلى حوالي مئة قدم وله مئذنة غير متناسقة، وهذه كتل من التحصينات العسكرية لم أرها من قبل في كل أنحاء الجزيرة العربية.

أما (عنيزة) فلم أستطع دخول عنيزة بسبب الحالة الأمنية هناك لذا الاقتراب حتى من اسوارها مستحيلاً تماماً ولذلك اكتفيت بإلقاء نظرة خارجية من بعد على هذه المدينة الكبيرة كثيفة السكان، وإلقاء نظرة على عدد منازلها وأحجامها، مستفيدين في ذلك من القمم العالية التي كانت تميز المسكن الذي يعيش فيه زامل واسرته.

فريق رحال: أخيراً وليس آخراً، أخبرنا ماذا رأيت في مناطق الجزيرة العربية؟
بلجريف: أستطيع تقسيم ماذا رأيت في الجزيرة العربية على عدة أقسام: أولاً: الظواهر الطبيعية، تميزت الصحاري العربية الشاسعة بظواهر لا تجددها في بلاد الغرب، فكان السراب يثير استغراب الرحالة الأجانب الذين زاروا الجزيرة العربية وليس أنا فقط.

أذكر بعد عودتي من معالجة مريض في عز الظهيرة ألقيت بنظرة نحو السهل الممتد بين حائل والجبل، خيل إلي أن هذا السهل تحول إلى بحيرة واسعة تتضخم كلما ابتعدت نحو الجبل، وتكمش كلما اقتربت نحو البلد!

ثانياً: المنابر الإعلامية:

هذه المنابر التي تستقي منها الأخبار، أراها متمثلة بالأسواق العامة، فالسوق بمن فيه من حضر وبدو واهل الريف، كان هؤلاء في تجمعاتهم يتبادلون أخبار الساعة وأحوالهم اليومية، بما يمثل الصحيفة المطبوعة في أوروبا.

ثالثاً: الحركة العلمية:

تتمثل في حلقات تحفيظ القرآن الكريم وتلاوته، والدروس الدينية في المسجد، ففي حائل وبعد صلاة العصر التي قد يحضرها الامير طلال احياناً، يتم قراءة فصل من أحد الكتب الدينية، يتبعه موعظة قصيرة أو شرح لما قرئ.





فريق رحال: ممتاز. ختاماً، أخبرنا ماذا رأيت في الرجل العربي من صفات وطباع؟
بلجريف: رغم أن الرجل الانجليزي يمتاز على العربي بأنه يبدو أكثر تأملاً، سأدخل هنا في تحرٍ مهم يتعلق بمقدار العمل الفردي والجماعي في كل من الشرق والغرب، وسوف يتضح لنا من هذا التحري عن طريق الاستنتاج، أن نصف الكرة الغربي يمتاز كثيراً جداً على نصف الكرة الشرقي في العمل الجماعي أكثر من مقدار العمل الفردي، من هنا لو اخذنا فرداً عربياً وآخر انجليزياً أي واحد لواحد، نجد أن كلا منهما ينجز نفس القدر من العمل اليومي خلال الأربع وعشرين ساعة، ولكن بفارق واحد مفاده أن الفرد العربي يعمل لنفسه وبفكره، في حين يعمل الفرد الانجليزي من أجل المجتمع وبمساندة كاملة وتأييد من هذا المجتمع.

ورأيت بهم الكرم، تلك الخصلة التي تميز بها العرب في باديتهم وحاضرتهم وأشاد بها القريب والبعيد، فهي طيش صبياني لدى البدوي، وعدم تقدير للملكية وقيمتها.

فريق رحال: هنا ينتهي لقاءنا معك يا بلجريف، نشكر لك صراحتك وشفافتك معنا كما وعدتنا.
بلجريف: الشكر لكم أتم على هذه الاستضافة وسعيد بأنني استرجعت الماضي وذكرياتي في الجزيرة العربية معكم.

فريق رحال: الشكر موصول لكم أيضاً أيها السادة القراء، نلتقيكم قريباً في لقاء متجدد مع رحالة جديد

تحليل لشخصية **بلجريف:** نراه ذكياً واستغل الظروف الدينية والسياسية أيما استغلال، فأبرز نفسه في المذبحة في لبنان وتبنى قضية النصارى حتى وصل إلى البابا، وتولى ذلك توليه لعدة مناصب في الحكومة إلى أن أصبح مقرباً إلى الإمبراطور وعرض عليه رحلته فدعمها ومولها. ونراه متحيزاً عرقياً ويتضح هذا في بعض كلماته إذا قارن بين العربي والغربي.

وكان مأكراً بلا شك، فلديه القدرة على التقلب بين الشخصيات وتقمصها لينال مبتغاه.



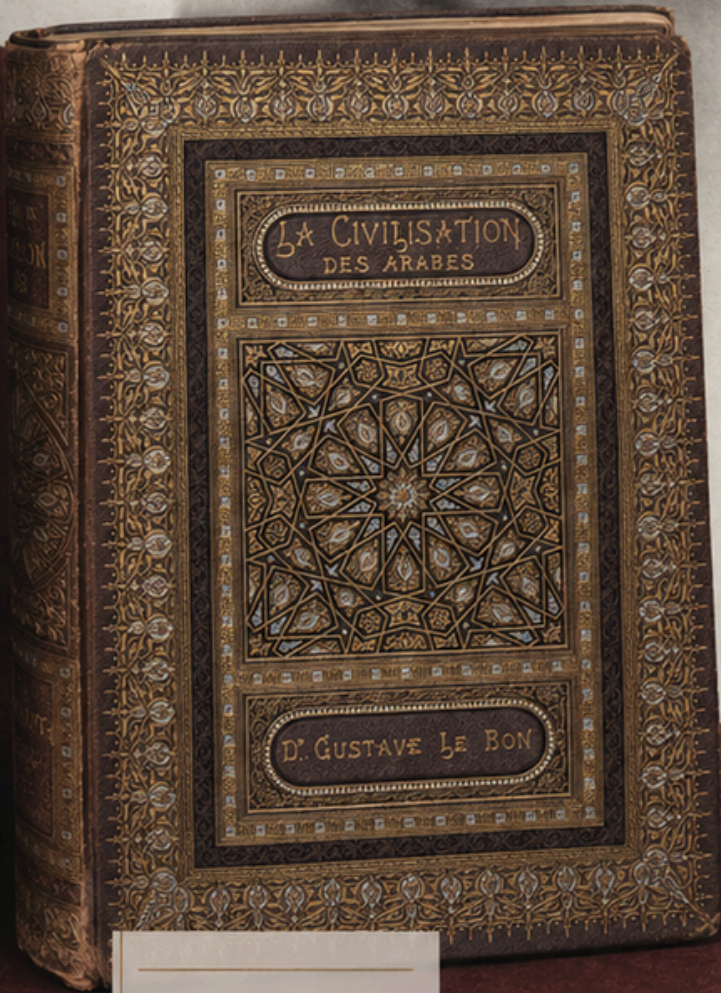
Charles-Philogène Tschaggeny، 1858 — «عربي في الصحراء»،
.Sotheby's / Wikimedia Commons، Public Domain

عبقريّة الشرق في مرآة الغرب: قراءة متأملة في كتاب "حضارة العرب"

بقلم: فهد القحطاني

تتجاوز قراءة التاريخ السرد التقليدي للأحداث لتبحث في جوهر الإسهام الإنساني للشعوب. وفي هذا السياق، يبرز كتاب "حضارة العرب" للمفكر الفرنسي غوستاف لوبون كدراسة تاريخية وازنة، حاول من خلالها تطبيق منهج تحليلي محايد لتقييم أثر الحضارة الإسلامية بعيداً عن الرؤى الاستشراقية الشائعة في عصره. وقد سعى لوبون من خلال هذا العمل إلى إبراز العوامل التي ساهمت في بناء هذه الحضارة ودورها في المسار الحضاري الإنساني.

انتهج غوستاف لوبون في سفره منهج الباحث الموضوعي الذي لا ينقاد خلف التيارات والأهواء الثقافية السائدة في عصره. لقد أدرك لوبون بوعيه النافذ أن الحضارة العربية الإسلامية لم تكن وليدة الصدفة البحتة، بل كانت استجابة خلاقة لروح جديدة بعثت في الإنسان طاقات هائلة من البذل والإبداع والتسامح وطلب العلم.



قُونُونُ هُوَ الشَّوْرُكُ



لقد توزع الكتاب على مفاصل دقيقة من حياة الأمة، فقطف من بساتين علمها وفلسفتها، ووقف أمام عدالة تشريعاتها، ورسم بدقة متناهية صور التسامح الفذ الذي مارسه العرب الفاتحون، وهو أمر نادر المثال في تاريخ الإمبراطوريات.

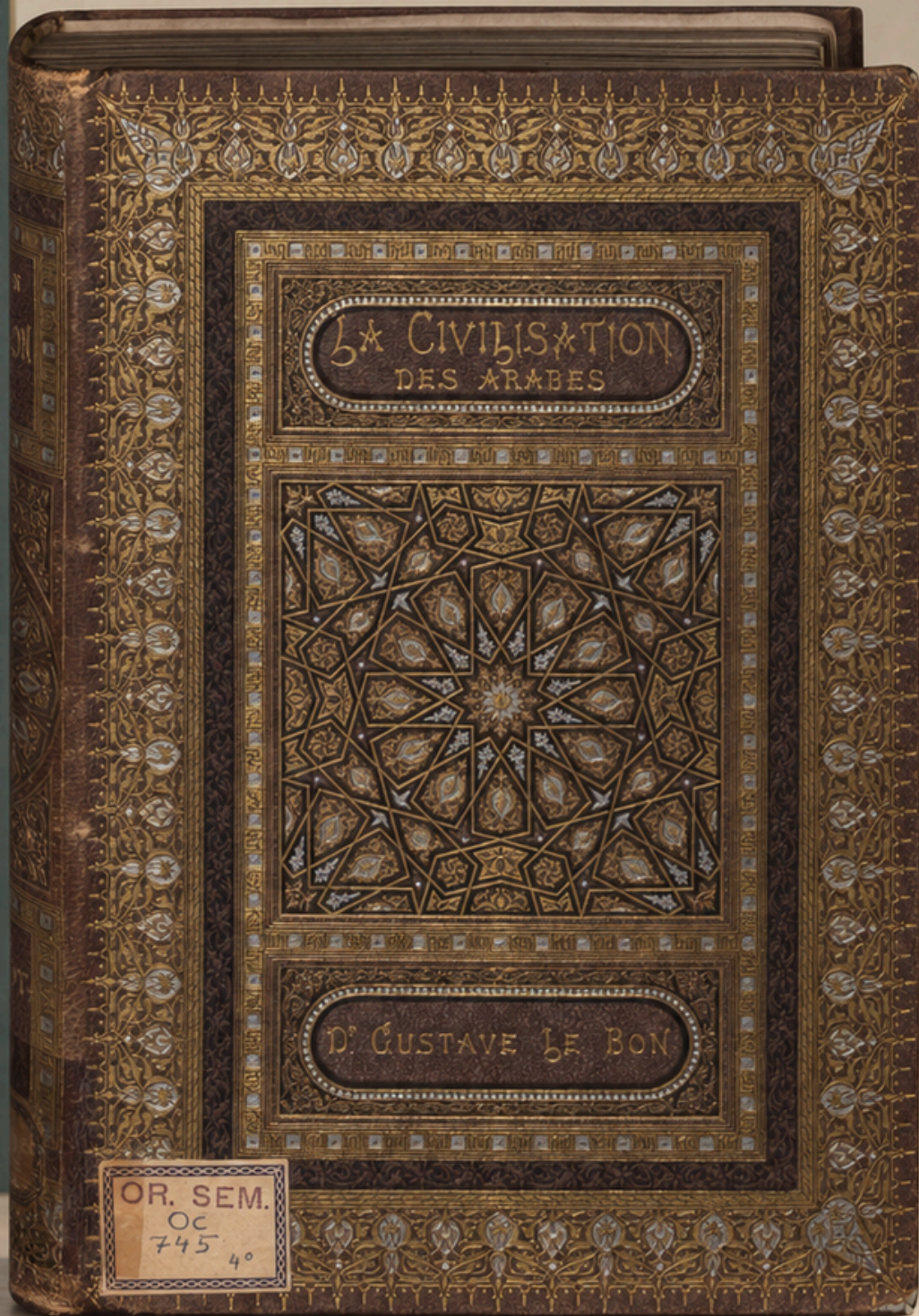
وعند الغوص في ثنايا الكتاب يبرز الإسهام العربي الشامخ في شتى مناحي المعرفة؛ فقد أخذ العرب أزمة العلوم عن الأمم السابقة بكل أمانة، فما اكتفوا بنقلها بل هذبوها وأضافوا إليها إضافات نوعية، وأسسوا لمنهج التجربة والملاحظة الذي قامت عليه النهضة الأوروبية الحديثة. وإلى جانب العقل العلمي، يجلّ الكاتب السجية العربية الممزوجة بالشهامة والوفاء والصدق، وهي قيم تجلت في أبهى صورها خلال التفاعل الحضاري مع الشعوب المختلفة.

كما يقر لوبون حقيقة تؤكد أن المسلمين كانوا أرحم الفاتحين وأبرهم بالرعية، حيث تركوا لأصحاب الديانات الأخرى كامل الحرية في إقامة شعائهم، وهو السر العميق وراء الانتشار السريع لتلك الحضارة المضيئة. ولقد أولى لوبون عناية خاصة للفنون وال عمران والتنظيمات الإدارية، مبيناً كيف تمكنت الأمة في فترة وجيزة من بناء جسور متينة بين الإرث اليوناني والهندي والفارسي وصهرت ذلك في بوتقة إسلامية عربية امتازت بالمرونة والتجديد المستمر.

ولم يقف عند حدود الوصف المادي، بل تجاوزها إلى تحليل النفسية الاجتماعية للمجتمع الإسلامي الذي اتسم بالتضامن والتكافل والحرص على طلب العلم كفريضة دينية، مما خلق بيئة حاضنة للعباقرة والعلماء في شتى حقول المعرفة.

وخلاصة القول إن كتاب حضارة العرب يظل علامة مضيئة في مسار الفكر البشري لأنه كسر طوق التحيز وأعاد الاعتبار لصرح حضاري شيدته الأمة العربية الإسلامية بفضل سواعد أبنائها وعقولهم المبدعة في شتى مجالات المعرفة وال عمران والأخلاق، ليبقى هذا السفر الفريد تذكرة أبدية بأن الإنصاف التاريخي هو الفيصل في تقييم أمجاد الأمم، وأن التواصل الإيجابي بين الحضارات يمثل الضمانة الوحيدة لمستقبل إنساني يسوده السلام والعدل والارتقاء المستمر نحو آفاق المعرفة الواسعة.





OR. SEM.
OC
745 4°

— غلاف «La Civilisation des Arabes»، غوستاف لوبون، باريس: Firmin-Didot، 1884
Universitäts- und Landesbibliothek Sachsen-Anhalt، Public Domain Mark 1.0

ضريح ذي القرنين في ذاكرة دومة الجندل: قراءة بين النص التراثي والرمز المكاني بقلم: جلال الطالب

ذو القرنين شخصية استثنائية في الوجدان الإنساني؛ جمع القرآن الكريم في قصته بين التمكين والقوة والإيمان، في رحلة امتدت بين مغرب الشمس ومطلعها، وصولاً إلى مشهد السد بوصفه ذروة معمارية ورمزية في رحلته. ومن هنا ظل التساؤل عن هويته وتفصيل حياته وجغرافية غيابه حاضراً في مدونات التفسير والتاريخ منذ قرون.

في المقابل، لم تكن دومة الجندل مجرد نقطة هامشية في جغرافية الصحراء، بل شكّلت، بواحتها وماردها وأسوارها، حاضرة أثرية عريقة وموقعا جيوثقافيا التقت فيه شرايين التجارة بين الجزيرة العربية والشام والعراق، لتحتضن طبقات من الحضارات والممالك المتعاقبة، حتى ارتبط اسمها بمملكة قي دار العربية القديمة وبـ«أدوماتو» في النصوص التاريخية.

لكن ما خيط الضوء الذي يربط بين شخصية ذي القرنين ودومة الجندل؟

تبدأ القراءة من رواية محلية عن ضريح وقبة في حي الدرع بدومة الجندل، ثم تقودنا إلى نصوص تراثية تسبق وصول الرحالة الأوروبيين إلى المنطقة بقرون طويلة.

من أصبهان (أصفهان في إيران): ترسيخ الإحداثية الأولى

في القرن الرابع الهجري، ومن مدينة أصبهان في إيران، يدوّن المحدث والمؤرخ أبو الشيخ الأصبهاني (المتوفى سنة 369هـ/979م) في كتابه «العظمة» سياق رحلة ذي القرنين، منتهياً إلى النص التالي:

«ثم رجع ذو القرنين إلى دومة الجندل، وكان منزله بها، فأقام بها حتى مات».

ويمثل هذا التدوين أحد أقدم الشواهد النصية التي تربط نهاية ذي القرنين بدومة الجندل، قبل وصول الرحالة الفنلندي جورج أوغست فالين إلى المنطقة بنحو ثمانية قرون ونصف قرن تقريباً.

ولعل الأهم في النص التراثي ليس الإشارة إلى الموت في دومة الجندل فحسب، بل البنية المتكاملة للجملة: «وكان منزله بها»، ثم اللفظة المحورية: «ثم رجع».

فالعودة، في دلالتها اللغوية، تفترض صلة سابقة بالمكان؛ فالإنسان لا يعود إلى فراغ، بل يرجع إلى موضع عرفه أو أقام فيه أو اتخذهُ مستقراً. وهنا ينبثق السؤال: هل كانت دومة الجندل وقلعة مارد من مواطن ذي القرنين أو مستقراً عاد إليه بعد رحلاته؟

وحتى أكون منصفاً، فإن الدلالة اللغوية وحدها لا يمكن تحويلها إلى يقين أثري، لكن لا يسعنا إغفالها؛ فالتص لم يقل: «ذهب إلى دومة الجندل»، بل قال: «رجع»، ثم أضاف: «وكان منزله بها»... وهل يمكن أن يكون لذي القرنين منزل متواضع بوجود مارد؟!

من القاهرة إلى جغرافية العصر المملوكي

بعد قرون، وفي القاهرة، يعيد المؤرخ الموسوعي شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري (المتوفى سنة 733هـ/1333م)، في موسوعته «نهاية الأرب في فنون الأدب»، إحياء الرواية ذاتها، منسوباً إياها إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

«ثم إنه رجع إلى دومة الجندل فأقام بها حتى مات».

هنا تتجاوز المسألة نطاق الحكاية المحلية؛ فنحن أمام موروث نصي ينتقل بين الأقاليم، من أصبهان في إيران إلى القاهرة في مصر، محتفظاً بهيكلة السرد ذاتها: العودة، ثم الإقامة، ثم الموت في دومة الجندل.

وهذا التكرار لا يجعل الرواية حقيقة أثرية مكتملة، لكنه يمنحها قيمة تاريخية لا يمكن تجاهلها؛ إذ يثبت أن الربط بين ذي القرنين ودومة الجندل كان حاضراً في التدوين التراثي قبل أن تظهر الروايات الحديثة عن الضريح المنسوب إليه.

أما عن فالين وذاكرة القرن التاسع عشر

حين وصل الرحالة الفنلندي جورج أوغست فالين إلى دومة الجندل سنة 1845م، سجل وصفا مهما لأحيائها وأسوارها وما تناقله أهلها من أخبار عن تاريخ المكان، «رحلات فالين إلى جزيرة العرب»، حيث ذكر نصاً في كتابه:

«في حي الدرع قبراً قديماً تعلوه قبة، كان الناس يعتبرونه مدفناً لذي القرنين».

وهنا تظهر رواية الضريح والقبة المنسويين إلى ذي القرنين في حي الدرع بالقرب من قلعة مارد، لتؤكد الروايات التاريخية.

ولا ينبغي أن نفترض أن فالين أثبت هوية المدفون أو قدم دليلاً أثرياً على وجود قبر ذي القرنين؛ فالرواية التي وصلتنا تتحدث عن اعتقاد محلي ارتبط بموضع محدد، وهو ما يختلف تماماً عن الإثبات الأثري. ومن المرجح لدي أن فالين والسكان المحليين بدومة الجندل لم يطلعوا على كتاب «نهاية الأرب في فنون الأدب» أو «العظمة».

لكن أهمية الرواية تكمن في شيء آخر؛ فقبل وصول فالين إلى دومة الجندل بقرون، كانت نصوص تراثية تقول: «رجع ذو القرنين إلى دومة الجندل... فأقام بها حتى مات»، ثم يصل رحالة إلى دومة الجندل في القرن التاسع عشر، فيجد في ذاكرة المكان رواية تربط ضريحاً وقبة بذي القرنين.

هنا يلتقي النص التاريخي المدون بالذاكرة المكانية والشفهية.

غير أن قراءة هذا الربط التاريخي تتطلب استحضار تعدد الروايات عن قبر ذي القرنين؛ فمنهم من قال في بابل، وآخرون في مكة أو أبها، وغيرهم في بيت المقدس، إلا أن خبر قبره في دومة الجندل يبدو أقرب إلى الصواب؛ لكون التسلسل التاريخي والشواهد حاضرة، ومع ذلك نحتاج إلى التنقيب كي نرتقي من الرواية إلى اليقين.

فالنصوص التي تربط وفاته بدومة الجندل لا تحسم المسألة بالضرورة، لكنها تقدم لنا سؤالاً آخر لا يقل أهمية: لماذا ارتبطت نهاية رحلته بدومة الجندل في أكثر من رواية تراثية؟

إن التساؤل المطروح هنا ليس محاولة لبناء أسطورة أو إثبات رواية نرغب في تصديقها، بل دعوة منهجية إلى وزارة الثقافة والمختصين في هيئة التراث وخبراء الآثار في منطقة الجوف:

هل خضع الموقع الذي كانت تقوم عليه القبة والضريح المنسوبان إلى ذي القرنين لدراسة أثرية دقيقة؟

وإن كان الجواب بالإيجاب: فما الذي كشفت عنه الدراسات والحفريات؟

وإن كان الجواب بالنفي: ألا يستحق هذا الخيط التراثي، الذي امتد عبر قرون، أن يُبحث؟

الشاهد هنا: الهدف من البحث الأثري ليس إثبات أسبقية الرواية أو تأكيد ما نرغب في الوصول إليه، فالنتيجة العلمية تظل ذات قيمة سواء أثبتت وجود ذي القرنين، أو كشفت عن شخصية تاريخية أخرى، أو نفت وجود شيء في الموضع المنسوب إليه. وإن لم يكن الموقع قد خضع للدراسة، فربما حان الوقت لأن تخضع أطراف الرواية لأدوات العلم.

ويبقى النص التراثي التاريخي والذاكرة المكانية للسكان المحليين وطبقات الأرض تثير تساؤلات كثيرة، ومنها، مجازاً لا حصراً: من بنى قلعة مارد؟ هل هو ذو القرنين؟ ربما.

[HTTPS://THAHLANMAG.COM](https://thahlanmag.com)

